

رأي الشيخ الأوحـد في الحركة الجوهرية ..

رأي الشيخ الأوحـد في الحركة الجوهرية ..

بعث إليّ جناب الصديق المكرم والأخ العزيز قاسم القرشي حفظه الله سؤالاً مهماً بخصوص رأي الشيخ الأوحـد أعلى الله مقامه في الحركة الجوهرية التي قال بها ملا صدرا الشيرازي، وقد وصلني سؤاله وأنا في حال انشغال البال واضطراب الأحوال فتناقلت في الرد ريثما سحت الفرصة، فأجبتة على عجلة، وقمت بنشر السؤال والجواب في الفيسوك، ولكن رأيت بعد المراجعة أهمية رقد الموضوع بمزيد من البيان ليزول اللبس تماماً ويتضح هذا المطلوب على اكمل وجه، وهذا الموضوع لم يتطرق اليه اي باحث قبلنا، وربما نؤلف فيه كتاباً إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

قال سلمه الله:

السلام عليكم مولانا العزيز الميرزا حسن فيوضات.

اقف على باكم هذه المره آملا أن تحدثنا عن الحركة الجوهرية وعن الجوهر وعن العرض؟ وماهي الاختلافات بين مدرسة الشيخ الاوحد وغيره من المدارس في هذه النقطة؟ ودمت موقفاً.

.....

الجواب: إن تشخيص الإختلافات بين مدرسة الشيخ أعلى الله مقامه ومدرسة الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي في موضوع الجواهر والأعراض ومعنى الحركة الجوهرية يفتقر إلى جواب طويل لا تناسبه هذه العجالة ولا يناسبه هذا المكان، ولذلك سأقتصر على إيراد الفرق بين المدرستين في خصوص الحركة الجوهرية وأرجيء الكلام عن الفروقات الأخرى فيما يتعلق بالجواهر والأعراض إلى فرصة لاحقة إن شاء الله تعالى.

أقول: اعتقد الفلاسفة القدماء أن للحركة أربع مقولات عرضية هي: (أين ، كيف ، كم ، وضع) . وبتعبير أوضح أن حركة الجسم تكون إما بتغيير مكانه وذلك بإنقاله من مكان إلى آخر كما في مقولة (الأيّن)، أو بنموه أو زيادة كميته كما في مقولة (الكم). أو تغير اللون والطعم والرائحة مثلاً كما من مقولة (الكيف)، أو أن يدور في مكانه حول نفسه كالحركة الوضعية للأرض وهذا ما يراد به من الحركة في مقولة (الوضع) . وقد كان سائداً أن الحركة غير ممكنة في جوهر وذات الجسم أبداً، لأنه في كل حركة يجب أن تكون ذات الجسم المتحرك ثابتة، فالحركة لا تتصور في ذات الشئ وجوهره، بل في أعراضه. لكن الفلاسفة المتأخرين كملا صدرا والشيخ الأوحّد رفضوا هذه النظرية وأقروا بوجود الحركة في الجوهر، وقالوا: إن منشأ الحركة هي الذات (الجوهر) والتي تظهر آثارها في العوارض (مع أن الشيخ والملا قد اختلفا في سببية هذه الحركة كما سنسمع). وأول من طرح هذه النظرية بشكل تفصيلي استدلالاً هو صدر الدين الشيرازي حيث قال: إن كل ذرات الكائنات وعالم المادة في حركة دائبة، أو بتعبير آخر: إن مادة الأجسام وجود سيال متغير الذات دائماً، وفي كل لحظة له وجود جديد يختلف عن الوجود السابق له، ولكون هذه التغيرات متصلة مع بعضها فإنها تحسب شيئاً واحداً، وبناء على هذا فإن لنا في كل لحظة وجوداً جديداً، إلا أن هذه الوجودات متصلة ومستمرة فيترقى الموجود متكاملًا في جميع مراتب الوجود حتى يبلغ الترقى إلى أقصاه فيندك المخلوق في وحدة صرفة مع خالقه سبحانه وتعالى. وهذا الفهم يتطابق مع ما يؤمن به ملا صدرا من نظرية وحدة الوجود والموجود التي ذكرها محيي الدين بن عربي، فالوجود عند صدرا حقيقة واحدة وله مراتب متعددة، وكل موجود يختلف عن الآخر في رتبته التي يترتب فيها في سلسلة مراتب تلك الحقيقة الواحدة، ويكون ما به الإمتياز بين الموجودات هو عين ما به الإشتراك أي نفس تلك الحقيقة التي هي الوجود، إذ مراتب الوجود لا تختلف فيما بينها بشيء خارج الوجود، كالنور الذي يتفاوت شدة وضعفا بنفس حقيقة النور لا بشيء آخر من خارجه.

وقد أيد الشيخ الأوحّد أعلى [] مقامه الحركة الجوهرية في الجملة إلا أنه لم يتفق مع ملا صدرا في التطبيق ولا فيما يترتب عليها من النتائج، فهو لا يوافق على إستمرار وإتصال تلك الحركة متصاعدة في المراتب، وهو ما يؤدي في النهاية إلى إنقلاب الجواهر عن حاق رتبته الوجودية إلى رتبة أخرى، فملا صدرا الشيرازي لا يمانع من ذلك طالما قرر إتصال الحركة وإستمراريتها في الجواهر مطلقاً. وأما الشيخ رضوان [] تعالى عليه فقد أوضح معنى الحركة الجوهرية بطور آخر، والفرق الأساسي بين الشيخ الأوحّد وملا صدرا هو أن الأخير يجعل حركة الجوهر علة لحركة الأعراض، بينما الشيخ يجعلها معلولة للأعراض، وهي حدود الشئ كالكم والكيف والجهة والرتبة والزمان والمكان، لأن ماهية الشئ عند الشيخ الأوحّد هي عبارة عن مجموع تلك الأعراض والحدود، واما الجوهر فهو وجود الشئ، وهو في نفسه لا يتحرك إذ الحركة مترتبة عليه.

نعم أضاف الشيخ الى أقسام الحركات المعروفة ما أسماه بالحركة الإيجادية، وهي الفعل الكلي أو المشيئة الالهية أو الوجود المطلق، وهي متقدمة وجوداً على كل ما خلقه تعالى، والمفعولات (في عالم الوجود المقيد) لها حصص من تلك الحركة الإيجادية الكلية، حيث تتعلق بالمتعلقات فينشأ عن تعلقاتها وجوه أو رؤوس فعلية أو مقبولات، وهذه الوجوه أو الرؤوس أو المقبولات هي وجودات الأشياء وجواهرها، وهي أيضاً مادة الأشياء وجهتها من ربها. وهذه الحصص أو المقبولات تفتقر في التحقق والظهور إلى القابليات وهي حدود الأشياء أو ماهياتها أو صورتها، فالحركة الجوهرية إذاً ليست هي المقبولات أو الحصص الفعلية أو المادة، ولا يراد منها عند الشيخ الأوحده حركات إيجادية جزئية متفرعة على الحركة الإيجادية الكلية، ففي رتبة المفعول لا يطلق على هذه الحصص اصطلاح (الحركة) أصلاً، بل يطلق عليها مادة الشيء أو وجوده أو جهته من ربه.

إنما يريد الشيخ الأوحده من الحركة الجوهرية الحركة المترتبة على حصول تغيرات في حدود الشيء أي في ماهيته أو صورته فتؤثر تلك التغيرات في حركة الشيء التكاملية، أي في ترقى الشيء في حاق رتبته الخاصة وفي سيره الصعودي إلى الله سبحانه بفطرة التكامل المودعة فيه، فالشيء زوج تركيبى من (وجود وماهية) وذات الشيء أو جوهره لا يمكن أن تفهم بمعزل عن إحداهما، فالشيء ليس هو وجود فقط أو ماهية فقط. في حين أن الحركة الجوهرية عند ملا صدرا ليست مسببة عن حركة الأعراض والحدود بل هي السبب في حصولها، ولذلك يترتب على الحركة الجوهرية عند ملا صدرا حصول ترقى في الرتبة الوجودية، فيرتقى النوع الى نوع آخر، فلا مانع عند ملا صدرا من تحول حقيقة الشيء الى حقيقة اخرى، وإن كانت أعلى منه رتبة.

ولو أردنا أن نبين موقف كلا الحكيمين من نظرية التطور لقلنا ان الحركة الجوهرية عند ملا صدرا تؤيدها نظرية دارون في النشوء والإرتقاء حيث يمكن ان يترقى المخلوق في مراتب متصاعدة وينتقل من نوع الى آخر ومن حقيقة الى أخرى، فلا إشكال من تحول القرد الى إنسان بحسب هذه النظرية على الرغم من ان الرتبة الوجودية أو الحقيقة النوعية لكل منهما تباين الاخرى. بينما لا يترتب على الحركة الجوهرية عند الشيخ الأوحده إنقلاب الحقائق وتحول الأنواع، بل يكون الترقى في الدرجة فقط، فيتكامل كل مخلوق في حاق رتبته بدرجات متصاعدة من دون أن يتحول إلى حقيقة أخرى أو ينتقل إلى نوع آخر، وهذا يتفق تمام الإتفاق مع مبادئ الشرع الإسلامى كتاباً وسنةً، بل مع بديهة العقل والعلم المعاصر.

ولا بأس هاهنا من الإستئناس بكلام الشيخ الأوحده بعد ان إتضح مراده من الحركة الجوهرية: فقد ذكر في شرح العرشية (الجزء الثانى) رداً على الملا: ((وقوله: (ونحن قد أقمنا البرهان على ثبوت الحركة

الجوهريّة) يريد انّه اذا ثبتت الحركة الجوهرية بان يكون الجوهر بنفسه يترقى من رتبته الي ما فوقها وهكذا صاعداً كانت الصورة الحسيّة مع ارتباطها بالمادة صورة عقليّة، ونحن قد قلنا له: فهلا قلتَ في الصورة المرئيّة كذلك، على ان الحركة الجوهرية انّما تتحقق في نوعها فان الجوهر المعدني لا يترقى حتي يكون جوهراً نباتياً والنباتي لا يكون حَيَوَانِيّاً، نعم المعدني يترقّى في الرتبة المعدنية كأن يترقّى من الصخرية الي الزجاجية ومن الزجاجية الي البلّورية ومن البلّورية الي الالماسية وكذلك النباتي يترقى في الرتبة النباتية وهكذا...)).

ثم أوضح السبب الذي من أجله لا يصح أن يتعدى الترقى رتبة الشيء وحقيقته فيحوله إلى رتبة وحقيقة أخرى، بأن الحركة الجوهرية هي في الواقع حركة بسبب الأعراس أو أن المقتضي فيها هو الأعراس وليست الحركة تابعة من ذات الجوهر كما توهم ملا صدرا، قال أعلى □ مقامه: ((وقوله بهذه الحركة من قاعدته المقرّرة من اثبات الحركة الجوهرية، ونحن نقول بها لكن لا نقول بأنّ المقتضي من ذات الجوهر بل المقتضي الأعراس التي هي حدود الماهية والصورة فانّها هي المحركة للجوهر فيترقّى في مراتب الشدّة بصفاء القوايل ويتنزّل في مراتب الضّعف بضعفها فحركته الجوهرية التي يترقّى بها او يتنزل حركة انفعالية لا حركة فعلية كما توهم المصنف واتباعه...)).

والحمد □ رب العالمين وصلى □ على محمد وآله الطاهرين.

قال سلمه □:

السلام عليكم مولانا العزيز الميرزا حسن فيوضات.

اقف على باكم هذه المره آملأ أن تحدثنا عن الحركة الجوهرية وعن الجوهر وعن العرض؟ وماهي الاختلافات بين مدرسة الشيخ الاوحد وغيره من المدارس في هذه النقطة؟ ودمت موفقا .

.....

الجواب: إن تشخيص الإختلافات بين مدرسة الشيخ أعلى □ تعالى مقامه ومدرسة الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي في موضوع الجواهر والأعراس ومعنى الحركة الجوهرية يفتقر إلى جواب طويل لا تناسبه

هذه العجالة ولا يناسبه هذا المكان، ولذلك سأقتصر على إيراد الفرق بين المدرستين في خصوص الحركة الجوهرية وأرجيء الكلام عن الفروقات الأخرى فيما يتعلق بالجواهر والأعراض إلى فرصة لاحقة إن شاء الله تعالى.

أقول: اعتقد الفلاسفة القدماء أن للحركة أربع مقولات عرضية هي: (أين ، كيف ، كم ، وضع)، وبتعبير أوضح أن حركة الجسم تكون إما بتغيير مكانه وذلك بانتقاله من مكان إلى آخر كما في مقولة (الأيّن)، أو بنموه أو زيادة كميته كما في مقولة (الكم). أو تغير اللون والطعم والرائحة مثلاً كما في مقولة (الكيف)، أو أن يدور في مكانه حول نفسه كالحركة الوضعية للأرض وهذا ما يراد به من الحركة في مقولة (الوضع) . وقد كان سائداً أن الحركة غير ممكنة في جوهر وذات الجسم أبداً، لأنه في كل حركة يجب أن تكون ذات الجسم المتحرك ثابتة، فالحركة لا تتصور في ذات الشيء وجوهره، بل في أعراضه. لكن الفلاسفة المتأخرين كملا صدرا والشيخ الأوحّد رفضوا هذه النظرية وأقروا بوجود الحركة في الجوهر، وقالوا: إن منشأ الحركة هي الذات (الجوهر) والتي تظهر آثارها في العوارض (مع أن الشيخ والملا قد اختلفا في سببية هذه الحركة كما سنسمع). وأول من طرح هذه النظرية بشكل تفصيلي استدلالياً هو صدر الدين الشيرازي حيث قال: إن كل ذرات الكائنات وعالم المادة في حركة دائبة، أو بتعبير آخر: إن مادة الأجسام وجود سيال متغير الذات دائماً، وفي كل لحظة له وجود جديد يختلف عن الوجود السابق له، ولكون هذه التغيرات متصلة مع بعضها فإنها تحسب شيئاً واحداً، وبناء على هذا فإن لنا في كل لحظة وجوداً جديداً، إلا أن هذه الوجودات متصلة ومستمرة فيترقى الوجود متكاملًا في جميع مراتب الوجود حتى يبلغ الترقى إلى أقصاه فيندك المخلوق في وحدة صرفة مع خالقه سبحانه وتعالى. وهذا الفهم يتطابق مع ما يؤمن به ملا صدرا من نظرية وحدة الوجود والموجود التي ذكرها محيي الدين بن عربي، فالوجود عند صدرا حقيقة واحدة وله مراتب متعددة، وكل موجود يختلف عن الآخر في رتبته التي يترتب فيها في سلسلة مراتب تلك الحقيقة الواحدة، ويكون ما به الإمتياز بين الموجودات هو عين ما به الإشتراك أي نفس تلك الحقيقة التي هي الوجود، إذ مراتب الوجود لا تختلف فيما بينها بشيء خارج الوجود، كالنور الذي يتفاوت شدة وضعفا بنفس حقيقة النور لا بشيء آخر من خارجه.

وقد أيد الشيخ الأوحّد أعلى الله مقامه الحركة الجوهرية في الجملة إلا أنه لم يتفق مع ملا صدرا في التطبيق ولا فيما يترتب عليها من النتائج، فهو لا يوافق على إستمرار وإتصال تلك الحركة متصاعدة في المراتب، وهو ما يؤدي في النهاية إلى إنقلاب الجواهر عن حاق رتبته الوجودية إلى رتبة أخرى، فملا صدرا الشيرازي لا يمانع من ذلك طالما قرر إتصال الحركة وإستمراريتها في الجواهر مطلقاً. وأما الشيخ رضوان الله تعالى عليه فقد أوضح معنى الحركة الجوهرية بطور آخر، والفرق الأساسي بين الشيخ الأوحّد وملا صدرا هو أن الأخير يجعل حركة الجوهر علة لحركة الأعراض، بينما الشيخ يجعلها معلولة

للأعراض، وهي حدود الشيء كالكيف والجهة والرتبة والزمان والمكان، لأن ماهية الشيء عند الشيخ الأوحدهي عبارة عن مجموع تلك الأعراض والحدود، وأما الجوهر فهو وجود الشيء، وهو في نفسه لا يتحرك إذ الحركة مترتبة عليه.

نعم أضاف الشيخ الى أقسام الحركات المعروفة ما أسماه بالحركة الإيجادية، وهي الفعل الكلي أو المشيئة الالهية أو الوجود المطلق، وهي متقدمة وجوداً على كل ما خلقه تعالى، والمفعولات (في عالم الوجود المقيد) لها حصص من تلك الحركة الإيجادية الكلية، حيث تتعلق بالمتعلقات فينشأ عن تعلقاتها وجوه أو رؤوس فعلية أو مقبولات، وهذه الوجوه أو الرؤوس أو المقبولات هي وجودات الأشياء وجواهرها، وهي أيضاً مادة الأشياء وجهتها من ربها. وهذه الحصص أو المقبولات تفتقر في التحقق والظهور إلى القابليات وهي حدود الأشياء أو ماهياتها أو صورتها، فالحركة الجوهرية إذاً ليست هي المقبولات أو الحصص الفعلية أو المادة، ولا يراد منها عند الشيخ الأوحدهي حركات إيجادية جزئية متفرعة على الحركة الإيجادية الكلية، ففي رتبة المفعول لا يطلق على هذه الحصص اصطلاح (الحركة) أصلاً، بل يطلق عليها مادة الشيء أو وجوده أو جهته من ربه.

إنما يريد الشيخ الأوحدهي من الحركة الجوهرية الحركة المترتبة على حصول تغيرات في حدود الشيء أي في ماهيته أو صورته فتؤثر تلك التغيرات في حركة الشيء التكاملية، أي في ترقى الشيء في حاق رتبته الخاصة وفي سيره الصعودي إلى الله سبحانه بفطرة التكامل المودعة فيه، فالشيء زوج تركيبى من (وجود و ماهية) وذات الشيء أو جوهره لا يمكن أن تفهم بمعزل عن إحداهما، فالشيء ليس هو وجود فقط أو ماهية فقط. في حين أن الحركة الجوهرية عند ملا صدرا ليست مسببة عن حركة الأعراض والحدود بل هي السبب في حصولها، ولذلك يترتب على الحركة الجوهرية عند ملا صدرا حصول ترقى في الرتبة الوجودية، فيرتقى النوع الى نوع آخر، فلا مانع عند ملا صدرا من تحول حقيقة الشيء الى حقيقة اخرى، وإن كانت أعلى منه رتبة.

ولو أردنا أن نبين موقف كلا الحكيمين من نظرية التطور لقلنا ان الحركة الجوهرية عند ملا صدرا تؤيدها نظرية دارون في النشوء والإرتقاء حيث يمكن ان يترقى المخلوق في مراتب متصاعدة وينتقل من نوع الى آخر ومن حقيقة الى أخرى، فلا إشكال من تحول القرد الى إنسان بحسب هذه النظرية على الرغم من ان الرتبة الوجودية أو الحقيقة النوعية لكل منهما تباين الاخرى. بينما لا يترتب على الحركة الجوهرية عند الشيخ الأوحدهي إنقلاب الحقائق وتحول الأنواع، بل يكون الترقى في الدرجة فقط، فيتكامل كل مخلوق في حاق رتبته بدرجات متصاعدة من دون أن يتحول إلى حقيقة أخرى أو ينتقل إلى نوع آخر، وهذا يتفق تمام الإتفاق مع مبادئ الشرع الإسلامي كتاباً وسنةً، بل مع بديهة العقل والعلم المعاصر.

ولا بأس هاهنا من الإستئناس بكلام الشيخ الأوحى بعد ان إتضح مراده من الحركة الجوهرية: فقد ذكر في شرح العرشية (الجزء الثاني) رداً على الملا: ((وقوله: (ونحن قد أقمنا البرهان علي ثبوت الحركة الجوهرية) يريد انّه اذا ثبتت الحركة الجوهرية بان يكون الجوهر بنفسه يترقى من رتبته الي ما فوقها وهكذا صاعداً كانت الصورة الحسية مع ارتباطها بالمادة صورة عقلية، ونحن قد قلنا له: فهلا قلتَ في الصورة المرئية كذلك، على ان الحركة الجوهرية انّما تتحقق في نوعها فان الجوهر المعدني لا يترقى حتي يكون جوهراً نباتياً والنباتي لا يكون حَيَوَانِيّاً، نعم المعدني يترقى في الرتبة المعدنية كأن يترقى من الصخرية الي الزجاجية ومن الزجاجية الي البلورية ومن البلورية الي الالماسية وكذلك النباتي يترقى في الرتبة النباتية وهكذا...)).

ثم أوضح السبب الذي من أجله لا يصح أن يتعدى الترقى رتبة الشيء وحقيقته فيحوله إلى رتبة وحقيقة أخرى، بأن الحركة الجوهرية هي في الواقع حركة بسبب الأعراض أو أن المقتضي فيها هو الأعراض وليست الحركة تابعة من ذات الجوهر كما توهم ملا صدرا، قال أعلى □ مقامه: ((وقوله بهذه الحركة من قاعدته المقررة من اثبات الحركة الجوهرية، ونحن نقول بها لكن لا نقول بأن المقتضي من ذات الجوهر بل المقتضي الأعراض التي هي حدود الماهية والصورة فانّها هي المحركة للجوهر فيترقى في مراتب الشدة بصفاء القوالب ويتنزل في مراتب الضعف بضعفها فحركته الجوهرية التي يترقى بها او يتنزل حركة انفعالية لا حركة فعلية كما توهم المصنف واتباعه...)).

والحمد □ رب العالمين وصلى □ على محمد وآله الطاهرين.